(د) وقيل : إن اللُّغات السبع ترجع إلى كعبين : كعب بن قريش ، وكعب ابن خزاعة لتجاورهما فى المنزل .

قال أبو عبيد : وكذلك يُحَدِّثون عن سعيد بن أبى عروبة [1] ، عن قتادة [2] ، عمن سمع ابن عباس يقول : أُنزل القرآن بلغة الكعبين : كعب بن قريش ، وكعب ابن خزاعة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الدار واحدة .

قال أبو عبيد : يعنى أن خزاعة جيران قريش ، فأخذوا بلغتهم .

وقال أبو شامة : والكعبان : كعب بن لؤى من قريش ، وكعب بن عمرو من خزاعة .

* * *

● وجه تخصيص لغات تلك القبائل :

وقد أوضح ابن عطية وجه تخصيص لُغات تلك القبائل فقال : « فأصل ذلك وقاعدته قريش ، ثم بنو سعد بن بكر ، لأن النبى عليه السلام قرشى ، واسترضع فى بنى سعد ، ونشأ فيهم ، ثم ترعرع وعقت تمائمه وهو يخالط فى اللِّسان كنانه ، وهذيلاً ، وثقيفاً ، وخزاعة ، وأسداً ، وضبة ، وألفافها لقربهم من مكة ، وتكرارهم عليها ، ثم بعد هذه تميماً ، وقيساً ، ومن انضاف إليهم وسط جزيرة العرب ، فلما بعثه اللّه تعالى ويَسَّرَ عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة ، وهى التى قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف ، وهى اختلافاتها فى العبارات حسبما تقدم .. وهذه الجملة هى التى انتهت إليها

---

(١) سعيد بن أبى عروبة العدوى ، أبو النضر البصرى ، إمام أهل البصرة فى زمانه ، تغيَّر مذهبه بآخر عمره ، ورُمِىَ بالقدر - له مؤلفات ، توفى سنة ١٥٦ هـ على خلاف (تهذيب التهذيب ٤/ ٦٣ ، ميزان الاعتدال ١ / ٣٨٧) .

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسى ، البصرى الضرير الأكمه ، حافظ مفسر عالم بالعربية - ت ١١٨ هـ (غاية النهاية ٢ / ٢٥ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥١) .

الفصاحة ، وسلمت لغاتها من الدخيل ، ويسَّرها الله لذلك ليُظهر آية نبيه بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه ، وسبب سلامتها أنها فى وسط جزيرة العرب فى الحجاز ونجد وتهامة ، فلم تطرقها الأُمم ، فأما اليمن وهى جنوبى الجزيرة فأفسدت كلام عربه خلطه الحبشة والهنود ، على أن أبا عبيد القاسم بن سلام ، وأبا العباس المبرد ، قد ذكرا أن عرب اليمن من القبائل التى نزل القرآن بلسانها .. وأما ما والى العراق من جزيرة العرب ، وهى بلاد ربيعة ، وشرقى الجزيرة فأفسدت لُغتها مخالطة الفُرس والنبط ونصارى الحيرة ، وغير ذلك .

وأما الذى يلى الشام ، وهو شمالى الجزيرة ، وهى بلاد آل جفنة ، وابن الرافلة ، وغيرهم ، فأفسدها مخالطة الروم ، وكثير من بنى إسرائيل .

وأما غربى الجزيرة فهى جبال تسكن بعضها هذيل وغيرهم ، وأكثرها غير معمور ، فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللُّغات ، لم تكدر صفو كلامها أُمة من العجم .. فمعنى قول النبى ﷺ : « أُنْزِلَ القرآن على سبعة أحرف » أى فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن ، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ، ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز فى اللَّفظة .. فأباح الله تعالى لنبيه الحروف السبعة ، وعارضه بها جبريل فى عرضاته على الوجه الذى فيه الإعجاز وجودة الوصف [1] .

* * *

● ماتدل عليه النصوص بعامة وما جاء عن لغة قريش بخاصة :

وأياً كان الاختلاف فى معرفة اللُّغات السبع بعينها باعتبارها الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، فإن دراسة النصوص الواردة فى ذلك ، وفيما يناقضها فى الظاهر من نزول القرآن بلُغة قريش تدل على أربعة أمور :

---

(١) مقدمة تفسير المحرر الوجيز ١ / ٢٧ وما بعدها .

أحدها : أن اللُّغات السبع ليست بالضرورة فى كل كلمة من القرآن ، أو فى كلمة بعينها ، بل حيث يوجد فى لغات العرب تفاوت فى الألفاظ الدالة على معنى واحد ينزل القرآن باللُّغات السبع أو ببعضها ، وحيث لا يوجد فلا .

ثانيها : أن بعض هذه اللُّغات كان أشهر من بعض ، وأعلاها لغة قريش ، والشأن فيها جميعاً أن تكون من اللُّغات الأكثر انتشاراً وذيوعاً .

ثالثها : أن القراءة بهذه اللُّغات كانت على سبيل الاختيار عند الصحابة ، حتى يسهل على كُلٍّ أن يقرأ بما تيسر له .

رابعها : أن اللُّغات السبع - أى الأحرف السبعة على ما سبق - انتهت بجمع عثمان رضى الله عنه المصحف على حرف واحد قطعاً لدابر الخلاف .

وعلى هذا يُحمل ما كتب به عمر إلى ابن مسعود رضى الله عنهما ، قال بعضهم : الواضح من ذلك أن يكون الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومَن جاورهم من فصحاء العرب ، ثم أباح للعرب المخاطَبين به المنزَّل عليهم أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف بعضهم الانتقال من لُغة إلى غيرها لمشقة ذلك عليهم ، ولأن العربى إذا فارق لُغته التى طُبِعَ عليها يدخل عليه الحميَّة من ذلك ، فتأخذه العزة ، فجعلهم يقرءونه على عاداتهم وطباعهم ولُغاتهم منا منه عَزَّ وجل ، لئلا يكلفهم ما يشق عليهم ، فيتباعدوا عن الإذعان ، وكان الأصل على ما عهد رسول الله ﷺ من الألفاظ والإعراب جميعاً مع اتفاق المعنى ، فمن أجل ذلك جاء فى القرآن مخالفة ألفاظ المصحف المُجْمَع عليه ، كالصوف ، وهو « العِهْن » [1] ،

---

(١) القارعة : ٥ - وقراءة « الصوف » لعبد الله بن مسعود ، جاء فى البخارى : وقرأ عبد الله - يعنى ابن مسعود : « كالصوف » (فتح البارى ٨ / ٧٢٨) وفى الكشاف للزمخشرى : وقرأ ابن مسعود : « كالصوف » .

وزقية ، وهى : « صيحة » [1] ، وحطضنا وهى : « ضغث » [2] ، وحطب جهنم ، وهى : « حصب » [3] ، ونحو ذلك ، فقبض رسول الله ﷺ وكل رجل منهم متمسك بما أجازه له صلى الله عليه وسلم ، وإن كان مخالفاً لقراءة صاحبه فى اللفظ ، وعول المهاجرون والأنصار ومن تبعهم على العرضة الأخيرة التى عرضها رسول الله ﷺ على جبريل فى العام الذى قبض فيه ، وذلك أن النبى ﷺ كان يعرض عليه فى كل سنة مرة جميع ما أنزل عليه فيها إلا فى السنة التى قبض فيها فإنه عرض عليه مرتين .

قال أبو شامة : « وهذا كلام مستقيم حسن ، وتتمته أن يقال : أباح الله تعالى أن يقرأ على سبعة أحرف ما يحتمل ذلك من ألفاظ القرآن ، وتعبر تارة بما يحتمل ذلك من جهة اختلاف اللغات وترادف الألفاظ توسيعاً على العباد ، ولهذا كان النبى ﷺ يقول لما أوحى إليه أن يقرأ على حرفين وثلاثة : « هون على أمتى » على ما سبق ذكره فى أول الباب ، ثم انتهى إلى سبعة وقال : وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أن لا يحتاج من ألفاظه لغة إلى أكثر من ذلك غالباً وإن كان غيره [4] .

إن أبا شامة يقول بهذا الكلام يرى :

١ - أن نزول القرآن على سبعة أحرف كان لما يحتمل ذلك من ألفاظ القرآن ، لا فى كل لفظ من ألفاظه .

---

(١) الآية ٢٩ من سورة يس ، وفى الكشاف : « وقرأ ابن مسعود : إلا « زقية واحدة » من زقا الطائر يزقو ويزقى : إذا صاح » .

(٢) الآية ٢ من سورة الشرح ، وفى الكشاف : « وقرأ أنس : وحللنا وحططنا ، وقرأ ابن مسعود : وحللنا عنك وقرن » .

(٣) الآية ٩٨ من سورة الأنبياء ، ونسب ابن جرير الطبرى فى تفسيره هذه القراءة لعمر بن أبى طالب وعائشة ١٧ / ٩٤

(٤) المرشد الوجيز ص ٩٦

٢ – وأن هذا يرجع إلى اختلاف اللغات وترادف الألفاظ توسيعاً على العباد .

٣ – وأن رسول الله ﷺ انتهى في طلبه إلى سبعة أحرف لعلمه بأن أمته على اختلاف لغات العرب لا تحتاج في لفظة من ألفاظ القرآن إلى أكثر من ذلك .

أما ما رُوِيَ من أن القرآن أُنْزِلَ بلسان قريش فإنه يُحمل على أحد وجهين جمعاً بين الروايات :

أحدهما : أن يكون المراد بذلك أن القرآن نزل في الابتداء بلسانهم ، ثم أُبيح بعد ذلك أن يُقرأ بسبعة أحرف .

وثانيهما : أن معظم القرآن نزل بلسانهم ، فإذا وقع الاختلاف في كلمة فرضنا على خلاف لسان قريش أُريد من لسان غيرهم .

وكان هذا سائغاً قبل جمع الصحابة المصحف حتى يسهل على الأمة حفظ القرآن ، يحفظ كل بلغته ، ثم إن الصحابة رضي الله عنهم بعد أن ظهر الاختلاف في القراءة وكاد يكون لكلمة القرآن أكثر أن القراءة على حرف من الحروف السبعة كانت رخصة ورأوا الأمر لتيسير القراءة ، أما وقد كثر الحفاظ فإنه لم يعد هناك حاجة لهذه الرخصة ، ولا سبيل لتجاوز الاختلاف إلا بجمع الناس على حرف واحد ، وهذا هو ما فعله الله عثمان رضي الله عنه ، فحسم مادة الخلاف بنسخ القرآن على اللفظ المنزّل به في لغة قريش دون اللفظ المرادف له ، وفق ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ بعد أن عارضه به جبريل في تلك السنة مرتين ، وأجمع الصحابة معه على ذلك ، وأصبحت القراءة قاصرة على ما وافق رسم المصحف في جمع عثمان ، وما عدا ذلك فهو قراءة شاذة .

وصحّ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وعن غيره أنه قال : « إن القراءة سنة » .

قال البيهقى معلّقاً على ذلك : أراد أن اتباع مَن قبلنا فى الحروف سُنّة متبعة ، لا يجوز مخالفة المصحف الذى هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التى هى مشهورة ، وإن كان غير ذلك سائغاً فى اللُّغة ، أو أظهر منها .

قال أبو بكر بن العربى : سقط جميع اللُّغات والقراءات إلا ما ثبت فى المصحف بإجماع من الصحابة ، وما أُذِنَ فيه قبل ذلك ارتفع وذهب ، واللّه أعلم [1] .

وقد أنكر ابن قتيبة أن يكون فى القرآن كلمة تُقرأ على سبعة أوجه ، فقال : « وليس يوجد فى كتاب اللّه تعالى حرف قُرِئَ على سبعة أوجه يصح فيما أعلم » [2] .

ورد عليه ابن الأنبارى [3] بمثل : ﴿ عَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [4] (المائدة : ٦٠)

---

(١) المرشد الوجيز ص ٩٠ (٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٦

(٣) محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر الأنبارى البغدادى ، من كتبه : « إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب اللّه عز وجل » و « عجائب علوم القرآن » - توفى سنة ٣٢٨ هـ (بغية الوعاة ص ٩١) .

(٤) فيه عشر قراءات : ١ - « وعَبَدَ الطاغوتَ » على فعل ونصب « الطاغوت » ، ٢ - « وعَبُدَ الطاغوتِ » بفتح العين وضم الباء وفتح الدال وخفض « الطاغوت » وهما فى السبعة ، ٣ - « وعُبُدَ الطاغوتِ » بضم العين والباء وفتح الدال وخفض « الطاغوت » ، ٤ - « وعُبُدَ الطاغوتِ » بضم العين وفتح الباء وتشديدها وفتح الدال وخفض « الطاغوت » ، ٥ - « وعُبّادَ الطاغوتِ » بضم العين وتشديد الباء وألف بعدها وفتح الدال وخفض « الطاغوت » ، ٦ - « وعِبّادَ الطاغوتِ » بكسر العين وألاف بعد الباء المفتوحة وفتح الدال وخفض « الطاغوت » ، ٧ - « وعُبِدَ الطاغوتُ » مبنياً للمجهول ، ٨ - « وعَابِدُ الطاغوتَ » اسم الفاعل ، ٩ - « وعبدوا الطاغوت » بواو ، ١٠ - « وعُبَدَ الطاغوتِ » بضم العين وفتح الباء والدال وخفض « الطاغوت » .

انظر : « المحتسب » لأبى الفتح عثمان بن جنى - ت ٣٩٢ هـ (١ / ٢١٤ دار سزكين للطباعة والنشر) .

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾ [1] (الإسراء : ٢٣) ، ﴿ وَجِبْرِيلَ ﴾ [2] (البقرة ٩٧، ٩٨ ، التحريم ٤) ، و ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ [3] (يوسف : ١٢) .

قال أبو شامة : « وقال القتبى : لا نعرف فى القرآن حرفاً يُقرأ على سبعة أحرف ، وقال ابن الأنبارى : هذا غلط ، فقد وُجدَ فى القرآن حروف تُقرأ على سبعة أحرف ، منها قوله تعالى : ﴿ وعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ [5] وذكر وجوهاً . كأنه يذهب فى تأويل الحديث إلى أن بعض القرآن أُنْزِلَ على سبعة أحرف ، لا كله » .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلام ابن الأنبارى ينصرف إلى الاختلاف فى وجوه النُطق ، لا إلى الاختلاف فى الألفاظ مع اتفاق المعنى ، وعامة وجوه القراءات فى الأمثلة التى ذكرها تتفاوت فى الاشتقاق والإعراب ، ومادة الكلمة واحدة .

* * *

• الرأى الثالث فى المراد بالأحرف السبعة :

ذكر بعضهم أن المراد بالأحرف السبعة أنواع سبعة ، والقائلون بهذا اختلفوا فى تعيين السبعة :

فقيل : أمر ، ونهى ، وحلال ، وحرام ، ومُحْكَم ، ومُتشابِه ، وأمثال .

وقيل : أمر ، ونهى ، ووعد ، ووعيد ، وجدل ، وقصص ، ومُثل .

---

(١) قال الزمخشرى : « وقرئ » : « أف » بالحركات الثلاث منوناً وغير منون » (الكشاف ٢ / ٥١٣ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، وذكر أبو حيان (محمد بن يوسف - ت ٧٥٤ هـ) سبع قراءات ، اتفق فى ست منها مع الزمخشرى (محمود بن عمر - ت ٥٢٨ هـ) « أف » و « أف » و « أفا » و « أف » و « أف » و « أف » و « أف » (البحر المحيط ٦ / ٢٧ ، مكتبة النصر الحديثة) .

(٢) قرئ : « جبريل » و « جبريل » و « جبرائيل » و « جبرئل » و « جبرئيل » و « جبراييل » بياءين (المحتسب ١/٩٧) و « جبرال » و « جبرين » و « جبرين » (البحر المحيط ١/٣١٧) .

(٣) قرىء : « يرتفع ويلعب » و « يريع ويلعب » و « يريع ويلعب » (المحتسب ١ / ٣٣٣) و « نرتع ونلعب » بالنون ، و « نرتع ونلعب » و « نريع ونلعب » (البحر المحيط ٥ / ٢٨٥) .

(٤) المائدة : ٦٠ (٥) يوسف : ١٢

قال أبو شامة [1] : ذهب قوم فى قول النبى ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إلى أنها سبعة أنحاء وأصناف ، فمنها زاجر ، ومنها آمر ، ومنها حلال ، ومنها حرام ، ومنها مُحْكَم ، ومنها مُتشابه ، واحتجوا بحديث يرويه سلمة بن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه [2] . عن ابن مسعود [3] ، عن النبى ﷺ : « كان الكتاب الأولا أُنْزِلَ من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر وآمر وحلال وحرام ومُحْكَمٌ ومُتشابِه وأمثال ، فأحِلُّوا حلاله ، وحَرِّموا حرامه ، وافعلوا ما أُمرتم به ، وانتهوا عما نُهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمُحْكَمِه ، وآمنوا بمُتشابِهه ، وقولوا آمنا به ، كُلٌّ من عند ربنا » [4] .

وروى ابن جرير عن أبى قلابة [5] قال : « بلغنى أن النبى ﷺ قال : « أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف : أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل » [6] .

وقال القاضى أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى : وقال فريق

---

(١) المرشد الوجيز ص ١٠٧

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، قيل : اسمه عبد الله ، وقيل : اسمه كنيته ، تابعى - توفى سنة ١٠٤ هـ (تهذيب التهذيب ١١٥/١٢) وابنه سلمة ترجمته فى لسان الميزان ٦٨/٣

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، من كبار الصحابة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وإمام فى العلم وتحقيق القرآن وترتيله مع حسن الصوت - ت ٣٢ هـ (غاية النهاية ٤٥٨/١ ، والإصابة ٢ / ٣٦٨) .

(٤) ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره ١ / ٦٨ ، وابن عبد البر فى كتابه التمهيد ٤ / ٦٢ ، وانظر المرشد الوجيز ص ١٠٧

(٥) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمى ، أبو قلابة البصرى ، تابعى ، ثقة ، كثير الحديث - توفى سنة ١٠٤ هـ (تهذيب التهذيب ٥ / ٢٢٤) .

(٦) تفسير الطبرى ١ / ٦٩

من العلماء : إن المراد بالسبعة الأحرف معانى كتاب الله تعالى : وهى : أمر ، ونهى ، ووعد ، ووعيد ، وقصص ، ومجادلة ، وأمثال » [1] .

وقريب من هذا ما ذكره القاضى أبو بكر بن الطيب [2] أن أُبَيّاً رضى الله عنه روى عن النبى ﷺ أنه قال : « يا أُبَيّ ، إنى أُقرِئتُ القرآن على حرف أو حرفين ، ثم زادني المَلَك ، حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس منها إلّا شافٍ كافٍ ، إن قلتَ : غفور رحيم ، سميع عليم ، أو عليم حكيم ، وكذلك ما لم تختم عذاباً برحمة ، أو رحمة بعذاب » [3] .

وهذا اختصار لحديث رواه أبو داود [4] عن أُبَيّ بن كعب [5] قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أُبَيّ ؛ إنى أُقرِئتُ القرآن ، فقال لى : على حرف ؟ فقال الملك الذى معى : قل على حرفين ، قلتُ : على حرفين ، فقيل لى : على حرفين ، فقال المَلَك الذى معى : قل على ثلاث ، فقلتُ : على ثلاث ، حتى بلغتُ سبعة أحرف ، ثم قال : ليس منها إلا شافٍ كافٍ ، إن قلتَ سميعاً عليماً ، عزيزاً حكيماً ، ما لم تختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب » [6] .

وروى البيهقى فى السُنَن الكبرى نحوه [7] .

---

(١) المحرر الوجيز ١ / ٢١ ، ٢٢

(٢) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر الباقلانى ، من كبار علماء الكلام ، وانتهت اليه الرياسة فى مذهب الأشاعرة ، من كتبه : « التمهيد » و « اعجاز القرآن » و « كشف أسرار الباطنية » - ت ٤٠٣ هـ (وفيات الأعيان ٤ / ٢٦٩) .

(٣) المحرر الوجيز ١ / ٢٣

(٤) أبو داود السجستانى الحافظ - سليمان بن الأشعث ، صاحب السُنَن وإمام أهل الحديث فى عصره - ت ٢٧٥ هـ (تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٩) .

(٥) أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد ، الصحابى الأنصارى ، من كُتّاب الوحى ، وقرأ القرآن - توفي سنة ٣٠ هـ (غاية النهاية ١ / ٣١ ، والإصابة ١ / ١٩ ، وتهذيب التهذيب ١ / ٨٧) .

(٦) سُنَن أبى داود ٢ / ١٧ ، ط . دار الجيل - بيروت .

(٧) انظر : المرشد الوجيز ص ٨٧

وعلّقَ القاضى أبو بكر الباقلانى على ذلك فقال : « وهذه أيضاً سبعة غير السبعة التى هى وجوه وطرائق ، وغير السبعة التى هى قراءات وُسِعَ فيها ، وإنما هى سبعة أوجه من أسماء اللّه تعالى » (١) .

وفسّرَ البيهقى هذا فقال : « أما الأخبار التى وردت فى إجازة قراءة « غفور رحيم » بدل « عليم حكيم » فلأن جميع ذلك مما نزل به الوحى ، فإذا قرأ ذلك فى غير موضعه فكأنه قرأ آية من سورة ، وآية من سورة أخرى ، فلا يأثم بقراءتها كذلك ، ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة ، ولا آية رحمة بآية عذاب » (٢) .

ولا ينبغى أن يُحمل ما جاء فى هذه الرواية على أنه يجوز للناس أن يُبَدِّلوا اسماً للّه فى موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه ، فإن الوقوف عند اللّفظ القرآنى المتواتر واجب ، وغاية ما فى الحديث أن أسماء اللّه تعالى وردت على أوجه فى مواضع متعددة بالقرآن الكريم .

ولذا اعتبر ابن عبد البر آخر الحديث مفسِّراً لأوله فقال : « إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التى نزل القرآن عليها ، أنها معان متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون فى شئ منها معنى وضده ، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده ، كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضده » (٣) .

ومن ذلك القبيل ما ذهب إليه بعضهم من أن المراد : علم القرآن يشتمل على سبعة أشياء :

---

(١) انظر المحرر الوجيز ١ / ٢٣ (٢) انظر : المرشد الوجيز ص ٨٩

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، بدر الدين محمد بن عبد اللّه (ت ٧٩٤ هـ) ١ / ١٢١

علم الإثبات والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) .

وعلم التوحيد ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٣) .

وعلم التنزيه كقوله : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٥) .

وعلم صفات الذات كقوله : ﴿ وَلِلَّهِ العِزَّةُ ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ المَلِكُ القُدُّوسِ ﴾ (٧) .

وعلم صفات الفعل كقوله : ﴿ وَاعْبُدُواْ اللَّهَ ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ ﴾ (٩) وقوله : ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ ﴾ (١٠) ، وقوله : ﴿ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا ﴾ (١١) .

وعلم العفو والعذاب ، كقوله : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١٢) وقوله : ﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّيَ أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ (١٣) .

وعلم الحشر والحساب ، كقوله : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ ﴾ (١٤) وقوله : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (١٥) .

---

(١) البقرة : ١٦٤ ، آل عمران : ١٩٠
(٢) الاخلاص : ١
(٣) البقرة : ١٦٣
(٤) النحل : ١٧
(٥) الشورى : ١١
(٦) المنافقون : ٨
(٧) الجمعة : ١
(٨) النساء : ٣٦
(٩) النساء : ١
(١٠) البقرة : ٤٣
(١١) آل عمران : ١٣٠
(١٢) آل عمران : ١٣٥
(١٣) الحجر : ٤٩ - ٥٠
(١٤) غافر : ٥٩
(١٥) الاسراء : ١٤

وعلم النبوات كقوله : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [2] .

وعلم الإمامات كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ [4] وقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [5] [6] .

ويبدو من هذه النماذج أن المقصود ضرب المثل بما يمكن أن تُحمل عليه الأحرف السبعة ، على أن المراد بها المعانى والوجوه والأنواع ، وليس المراد الحصر ، فهى سبعة أنواع .

وحرص علماء كل فن على أن يجعلوا هذا متصلاً بفنهم .

فيقول الفقهاء : المراد المطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والنص ، والمؤول ، والناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمفسر ، والمحكم والمتشابه ، والاستثناء وأقسامه .

ويقول أهل اللُّغة : المراد الحذف والصلة ، والتقديم والتأخير ، والقلب والاستعارة ، والتكرار والكناية ، والحقيقة والمجاز ، والمجمل والمفسر ، والظاهر والغريب .

ويقول النُحاة : إنها التذكير والتأنيث ، والشرط والجزاء ، والتصريف والإعراب ، والأقسام وجوابها ، والجمع والتفريق ، والتصغير والتعظيم ، وإختلاف الأدوات مما يُختلف فيها بمعنى ، وما لا يُختلف فى الأداء واللفظ جميعاً .

---

(١) النساء : ١٦٥ (٢) إبراهيم : ٤ (٣) النساء : ٥٩

(٤) النساء : ١١٥ (٥) آل عمران : ١١٠

(٦) البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥

ويقول القُرَّاء : إنها من طريق التلاوة وكيفية النطق بها ، من إظهار وإدغام ، وتفخيم وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومد وقصر ، وتخفيف وتليين ، وتشديد .

ويقول الصوفية : إنها الزهد والقناعة مع اليقين ، والحزم والخدمة مع الحياء ، والكرم والفتوة مع الفقر ، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف ، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا ، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة ، والشوق مع المشاهدة [١] .

وهذه الأقوال يحرص فيها أصحاب كل علم على أن يرفعوا من مكانة علمهم ، واصطلاحات فنهم ، فيحملون الأحرف السبعة على وجوه العلم لديهم ، وهى أقوال لا سند لها من الأثر ، ولا وجه لها من النظر ، والدافع لها عصبية أهل الفن لفنهم ، واعتزازهم به ، وتقوية أواصره بالقرآن الكريم اعتزازاً بعلمهم .

* * *

• الرأى الرابع فى المراد بالأحرف السبعة :

وذهب جماعة إلى أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير السبعة التى وقع فيها الاختلاف ، وهى الوجوه التى ذكرها ابن قتيبة حيث قال : « وقد تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه » ثم عدَّها وضرب أمثلة لها [٢] .

وأخذ كلام ابن قتيبة ونقَّحه آخرون ، وحكى نظيره القرطبى [٣] عن القاضى أبى بكر الباقلانى [٤] ، ونقل هذه الوجوه كلها ابن الجزرى [٤] فى كتابه «النشر » [٥] .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ١ / ٢٢٥ - ٢٢٦ (٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨

(٣) محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى ، الأندلسى أبو عبد الله القرطبى ، من كبار المفسرين من أهل قرطبة ، من كتبه: « الجامع لأحكام القرآن » ويُعرف بتفسير القرطبى - توفى سنة ٦٧١ هـ (الديباج المذهب / ٣١٧) .

(٤) انظر تفسير القرطبى ١ / ٤٥

(٥) هو أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الشهير بابن الجزرى ، امام المقرئين فى عصره ، أشهر مؤلفاته : « النشر فى القراءات العشر » و « غاية النهاية فى طبقات القراء » - ت ٨٣٣ هـ (طبقات الحفاظ للسيوطى ٣ / ٨٥) .

(٦) انظر « النشر فى القراءات العشر » بتحقيق على محمد الضباغ ، ط . مصطفى محمد ٢٧/١ ، ٢٨

وهذه الوجوه التى يقع بها التغاير هى :

١ - اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعهما : التثنية والجمع والتأنيث كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (١) قُرِئَ « لأماناتهم » بالجمع ، وقُرِئَ « لأمانتهم » بالإفراد ، ورسمها فى المصحف « لأمنتهم » يحتمل القراءتين ، لخلوها من الألف الساكنة ، ومآل الوجهين فى المعنى واحد ، فيُراد بالجمع الاستغراق الدال على الجنسية ، ويُراد بالإفراد الجنس الدال على معنى الكثرة ، أى جنس الأمانة ، وتحت هذا جزئيات كثيرة .

٢ - الاختلاف فى وجوه الإعراب : كقوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَراً ﴾ (٢) ، قرأ الجمهور بالنصب على أن « ما » عاملة عمل « ليس » وهى لُغة أهل الحجاز ، وبها نزل القرآن ، وقرأ ابن مسعود : « ما هذا بشرٌ » بالرفع على لُغة بنى تميم ، فإنهم لا يعملون « ما » عمل « ليس » (٣) .

وكقوله : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ (٤) ، برفع « آدم » ونصب تاء « كلمات » بالكسرة - وقرئ بنصب « آدم » ورفع « كلمات » : « فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ » .

٣ - الاختلاف فى التصريف : كقوله تعالى : ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ (٥) ، قُرِئَ بنصب « ربنا » على أنه منادى مضاف ، و « باعد »

---

(١) المؤمنون : ٨ (٢) يوسف : ٣١

(٣) يقول ابن جنى : « وذلك كإعمال أهل الحجاز « ما » النافية للحال ، وترك بنى تميم إعمالها ، وإجرائهم إياها مجرى « هل » ونحوها مما لا يعمل ، فكأن أهل الحجاز لما رأوها داخلة على المبتدأ والخبر دخول « ليس » عليهما ، ونافية للحال نفيها إياها ، أجروها فى الرفع والنصب مجراها إذا اجتمع فيها الشبهان بها ، وكأن بنى تميم لما رأوها حرفاً داخلاً بمعناه على الجملة المستقلة بنفسها ومباشرة لكل واحد من جزأيها ، كقولك : ما زيدٌ أخوك ، وما قام زيد ، أجروها مجرى « هل » ألا تراها داخلة على الجملة لمعنى النفى دخول « هل » عليها للاستفهام » (الخصائص ١ / ١٦٧).

(٤) البقرة : ٣٧ (٥) سبأ : ١٩

بصيغة الأمر - وقُرِئَ « ربُنا » بالرفع ، و « باعَد » بفتح العين ، على أنه فعل ماض ، - وقُرِئَ « بعَّد » بفتح العين مشددة ، مع رفع « ربُنا » أيضاً .

ومن ذلك ما يكون بتغيير حرف ، مثل : « يعلمون » و « تعلمون » بالياء والتاء ، و « الصراط » و « السراط » فى قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١) .

٤ - الاختلاف بالتقديم والتأخير : إما فى الحرف ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ ﴾ (٢) ، وقُرِئَ : « أفلم يأيس » - وإما فى الكلمة ، كقوله تعالى : ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (٣) ، بالبناء للفاعل فى الأول ، وللمفعول فى الثانى ، وقُرِئَ بالعكس ، أى بالبناء للمفعول فى الأول ، وللفاعل فى الثانى .

ومثَّلَ ابن قتيبة لهذا الوجه من الاختلاف بقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ (٤) ، وقُرِئَ : « وجاءت سكرة الحق بالموت » (٥) . وهى أوضح فى الاستدلال ، ولكنها قراءة آحادية أو شاذة ، لم تبلغ درجة التواتر .

٥ - الاختلاف بالإبدال : سواء أكان إبدال حرف بحرف ، كقوله تعالى : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ (٦) ، قُرِئَ بالزاى المعجمة مع ضم النون ، وقُرِئَ بالراء المهملة مع فتح النون - أو إبدال لفظ بلفظ ، كقوله تعالى : ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ (٧) ، وقرأ ابن مسعود وغيره « كالصوف المنفوش » - وقد يكون هذا الإبدال مع التقارب فى المخارج ، كقوله تعالى : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ (٨) ، وقُرِئَ « طلع » ومخرج الحاء والعين واحد . فهما من حروف الحلق .

---

(١) الفاتحة : ٦ (٢) الرعد : ٣١ (٣) التوبة : ١١١

(٤) سورة ق : ١٩ (٥) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨ (٦) البقرة : ٢٥٩

(٧) القارعة : ٥ (٨) الواقعة : ٢٩

٦ - الاختلاف بالزيادة والنقص : فالزيادة كقوله تعالى : ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ ﴾ (١) ، قُرِئَ « من تحتها الأنهار » بزيادة « من » وهما قراءتان متواتران - والنقصان كقوله تعالى : « قالوا اتخذ الله ولداً » بدون واو ، وقراءة الجمهور : ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ (٢) بالواو - وقد يُمثَّل للزيادة فى قراءة الآحاد بقراءة ابن عباس « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً » بزيادة « صالحة » وإبدال كلمة « أمام » بكلمة « وراء » ، وقراءة الجمهور : ﴿ وكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ (٣) - كما يمثل للنقصان بقراءة ابن مسعود « والذكر والأنثى » بدلاً من قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَىٰ ﴾ (٤) .

٧ - اختلاف اللُّهجات بالتفخيم والترقيق والفتح والإمالة والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل والإشمام ونحو ذلك ، كالإمالة وعدمها فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ (٥) ، قُرِئَ بإمالة « أتى » و « موسى » - وترقيق الراء فى قوله : ﴿ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ (٦) ، وتفخيم اللام فى « الطلاق » ، وتسهيل الهمزة فى قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ (٧) - وإشمام الغين ضمة مع الكسر فى قوله تعالى : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ (٨) ... وهكذا .

ولا يرى ابن الجزرى هذا من وجوه الاختلاف ، حيث يقول : « وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والروم والإشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والإمالة والفتح والتحقيق والتسهيل والإبدال والنقل مما يُعبَّر عنه بالأصول ،

---

(١) التوبة : ١٠٠ (٢) البقرة : ١١٦ (٣) الكهف : ٧٩
(٤) الليل : ٣ (٥) طه : ٩ (٦) الإسراء : ١٧
(٧) المؤمنون : ١ (٨) هود : ٤٤

فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوَّع فيه اللَّفظ والمعنى ؛ لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً » [1] .

وجاءت آراء قريبة من هذا الرأى متداخلة معه على نهج آخر : اختار أبو على الأهوازى طريقة أخرى فقال : « قال بعضهم : معنى ذلك ، هو الاختلاف الواقع فى القرآن ، يجمع ذلك سبعة أوجه :

الجمع والتوحيد ، كقوله تعالى : « وكتبه » و « وكتابه » [2] .

والتذكير والتأنيث ، كقوله تعالى : « لا يقبل » و « لا تقبل » [3] .

والإعراب ، كقوله تعالى : « المجيدِ » و « المجيدُ » [4] .

والتصريف ، كقوله تعالى : « يعرشون » و « يعرِشون » [5] .

والأدوات التى يتغير الإعراب بتغيرها ، كقوله تعالى : « ولكنَّ الشياطينَ » و « ولكنْ الشياطينَ » [6] .

واللُّغات ، كالهمز ، وتركه ، والفتح ، والكسر ، والإمالة ، والتفخيم ، وبعض ذلك يزيد ، والمد ، والقصر ، والإدغام ، والإظهار ، وتغيير اللَّفظ ، وتقطيع النَّغم

---

(١) النشر ١ / ٢٦ - ٢٧ .

(٢) البقرة : ٢٨٥ ، وقراءة حمزة والكسائى : « وكتابه » ، وقرأ الباقون : « وكتبه » والكلمة فى المصاحف بغير ألف فاحتملت القراءتين .

(٣) البقرة : ٤٨ - بالتاء : قراءة ابن كثير وأبى عمرو ، وبالياء : قراءة الباقين .

(٤) البروج : ١٥ - بالجر : فى قراءة حمزة والكسائى ، وبالرفع : فى قراءة الباقين من السبعة .

(٥) الأعراف : ١٣٧ ، والنحل : ٦٨ - بضم الراء : قراءة ابن عامر ، بكسرها : قراءة الباقين .

(٦) البقرة : ١٠٢ بتخفيف « لكن » ورفع « الشياطين » : فى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى ، وبتشديد « لكن » ونصب « الشياطين » : فى قراءة الباقين .

الخط ، كقوله تعالى : « ننشرها » و « ننشزها » [1] .ونحو ذلك ، قال : وهذا القول أعدل الأقوال وأقربها لما قصدناه ، وأشبهه بالصواب .

ثم ذكر وجهاً آخر فقال : قال بعضهم : معنى ذلك سبعة معان فى القراءة :

أحدها : أن يكون الحرف له معنى واحد ، تختلف فيه قراءتان تخالفان بين نقطة ونقطة مثل : « تعملون » و « يعملون » [2] .

الثانى : أن يكون المعنى واحدا وهو بلفظتين مختلفتين ، مثل قوله تعالى : « فاسعوا » و « فامضوا » [3] .

والثالث : أن تكون القراءتان مختلفتين فى اللّفظ إلّا أن المعنيين متفرقان فى الموصوف ، مثل قوله تعالى : « ملك » و « مالك » [4] .

والرابع : أن تكون فى الحرف لُغتان ، والمعنى واحد ، وهجاؤهما واحد ، مثل قوله تعالى : « الرَشَد » و « الرُشْد » [5] .

والخامس : أن يكون الحرف مهموزاً وغير مهموز ، مثل « النبىء » و « النبى » .

---

(١) البقرة : ٢٥٩ – قرأ الكوفيون وابن عامر « ننشزها » بالزاى ، وقرأ الباقون بالراء .

(٢) البقرة : ٧٤ – قرأ ابن كثير بياء الغائب ، وقرأ الباقون بتاء الخطاب .

(٣) الجمعة : ٩ – قرأ علىّ وعمر وابن مسعود وابن عباس وأُبَىّ بن كعب وابن عمر وابن الزبير : « فامضوا » .

(٤) الفاتحة : ٤ – قرأ عاصم والكسائى : « مالك » بالألف ، وقرأ الباقون بغير ألف .

(٥) الأعراف : ١٤٦ ، قرأ حمزة والكسائى : « الرَشَد » بفتحتين ، وقرأ الباقون : « الرُشْد » بضم الراء وإسكان الشين ، واتفقوا على قراءة « الرُشْد » بضم الراء وإسكان الشين فى سورة البقرة : ٢٥٦ والجن : ٢

والسادس : التثقيل والتخفيف ، مثل « الأُكْل و « الأُكُل » [1] .

والسابع : الإثبات والحذف ، مثل « المنادى » و « المناد » [2] .

قال أبو على : وهذا معنى يضاهى معنى القول الأول الذى قبله ، وعليه اختلاف قراءة السبعة الأحرف .

وهذان الوجهان اللّذان ذكرهما أبو على الأهوازى نُسِبَا إلى غيره :

أما الوجه الأول : فنسبه الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد [3] إلى أبى طاهر بن أبى هاشم [4] ، ثم قال عقيبه : « وهذا أقرب إلى الصواب إن شاء اللّه تعالى » قال : وقد رُوِىَ عن مالك بن أنس [5] أنه كان يذهب إلى هذا المعنى .

وقال أبو بكر محمد بن على بن أحمد الأدفوى [6] فى « كتاب الاستغناء فى

---

(١) الرعد : ٤ - قرأ نافع وابن كثير « الأُكْل » بتسكين الكاف تخفيفاً ، وقرأ الباقون « الأُكُل » بضمها .

(٢) سورة ق : ٤١ - قرأ ابن كثير ويعقوب « المنادى » بإثبات الياء فى الوقف والوصل ، وقرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو بإثباتها فى الوصل فقط ، وقرأ الباقون من العشرة « المناد » بحذف الياء فى الحالين .

(٣) الحسن بن أحمد بن الحسين بن أحمد أبو العلاء الهمدانى ، إمام فى علوم القرآن والنحو واللغة والأدب والحديث - ت ٥٦٩ هـ (غاية النهاية ١ / ٢٠٤ ، بغية الوعاة ص ٢١٥) .

(٤) هو عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبى هاشم ، أبو طاهر البغدادى عالِم بحروف القرآن ووجوه القراءات - ت ٣٤٩ هـ (غاية النهاية ١ / ٤٧٥ ، بغية الوعاة ص ٣١٧) .

(٥) مالك بن أنس بن مالك الأصبحى ، أبو عبد اللّه ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، أشهر كتبه « الموطأ » - ت ١٧٩ هـ (الديباج المذهب ١٧ - ٣٠ ، وفيات الأعيان ١ / ٤٣٩ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ٥) .

(٦) محمد بن على بن أحمد الأدفوى ، أبو بكر ، المصرى من أهل أدفو - بصعيد مصر الأعلى - نحوى مقرئ مفسر ثقة ، له مؤلفات ، منها « الاستغناء » فى علوم القرآن ، - ت ٣٨٨ هـ ، (بغية الوعاة ٨١ ، وغاية النهاية ٢ / ١٩٨) .

علوم القرآن » فيما نقله عن أبى غانم المظفر بن أحمد بن حمدان [1] .قال : « القرآن محيط بجميع اللُّغات الفصيحة ، وتفصيل ذلك أن تكون هذه اللُّغات السبع على نحو ما أذكره :

فأول ذلك تحقيق الهمز وتخفيفه فى القرآن كله ، فى مثل « يؤمنون » [2] ، وكـ « مؤمنين » و « النبيين » [3] ، و « النسئ » [4] ، و « الصابئين » [5] و « البرية » [6] ، و « سأل سائل » [7] ، وما أشبه ذلك ، فتحقيقه وتخفيفه بمعنى واحد ، وقد يُفرِّقون بين الهمز وتركه بين معنيين ، فى مثل « أو ننسها » من النسيان أو « ننسأها » [8] من التأخير ، ومثل « كوكب درى » و « دريٌ » [9] .

ومنه إثبات الواو وحذفها فى آخر الاسم المضمر ، نحو « ومنهمو أُميون » [10].

---

(١) المظفر بن أحمد بن حمدان ، أبو غانم ، مقرئ مصرى ، نحوى له كتاب فى « اختلاف القراء السبعة »ـت ٣٣٣ هـ (غاية النهاية ١ / ٣٠١ ، وبغية الوعاة ص ٢٩٣) .

(٢) تحقيق الهمز : المنطق بالهمزة ساكنة ، وتخفيفه : حذف الهمزة .

(٣) « النبيئين » بتحقيق الهمز هى قراءة نافع ، و « النبيين » بتخفيفه هى قراء الباقين .

(٤) التوبة : ٣٧ - قراءة ورش رادى نافع بتشديد الياء من غير همز ، وقراءة الباقين من السبعة بالهمز (التيسير ص ١١٨) .

(٥) البقرة : ٦٢ ، الحج : ١٧ - بغير همز ، قراءة نافع (التيسير ص ٧٤) .

(٦) البيّنة : ٦ ، ٧ - قراءة نافع : « البريئة » بالهمز ، وقراءة الباقين بغير همز وتشديد الياء (التيسير ص ٢٢٤) .

(٧) المعارج : ١ - قرأ نافع وابن عامر « سال » بألف ساكنة (التيسير ص ٢١٤) .

(٨) ﴿ أو ننسأها ﴾ البقرة : ١٠٦ - بالهمز مع فتح النون والسين : قراءة ابن كثير وأبى عمرو (التيسير ص ٧٦) .

(٩) النور : ٣٥ - بالهمز ، قراءة الكسائى فقط من السبعة (التيسير ص ١٦٢) .

(١٠) البقرة : ٧٨ - بواو موصولة بها (النشر ١ / ٢٧٣) .

ومنه أن يكون باختلاف حركة وتسكينها فى مثل « غشاوة » و « غشوة » [1] ، و « جبريل » [2] ، و « ميسرة » [3] ، و « البخل » [4] ، و « سخرياً »[5] .

ومنها أن يكون بتغيير حرف نحو « ننشرها » [6] و « يقض الحق » [7] ، و « نصفين » [8] .

ومنه أن يكون بالتشديد والتخفيف ، نحو « يُبَشِّرهم » و « بَشْرهُم » [9] .

ومنه أن يكون بالمد والقصر ، نحو « زكرياء » و « زكريا » [10] .

---

(١) الجاثية : ٢٣ - (النشر ١ / ٢٧٣) « الظنين » من الظن (التيسير ص ٢٢٠) .

(٢) البقرة : ٩٧ ، ٩٨ والتحريم : ٤ - قرئ « جبريل » و « جبريل » بفتح الجيم ، و « جبرئل » و « جبرئا » بتشديد اللام (المحتسب ١ / ٩٧ ، و النشر ٢/٢١٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ١٤٤) .

(٣) البقرة : ٢٨٠ - ضم السين قراءة نافع (النشر ٢ / ٢٣٦) .

(٤) النساء : ٣٧ ، الحديد : ٢٤ - قرأ حمزة والكسائى بفتح الباء والخاء (التيسير ص ٩٦) .

(٥) المؤمنون : ١١٠ - قرأ نافع وحمزة والكسائى بضم السين ، وقرأ باقى السبعة بكسرها ، والزخرف : ٣٢ - بضم السين عند الجميع (التيسير ص ١٦٠) .

(٦) البقرة : ٢٥٩ - قرأ الكوفيون وابن عامر : « ننشزها » بالزاى ، وقرأ الباقون بالراء (التيسير ص ٨٢) .

(٧) الأنعام : ٥٧ - قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وعاصم : « يقص » بالصاد المهملة المشددة ، وقرأ باقى العشرة تقض (النشر ٢ / ٢٥٨) .

(٨) التكوير : ٢٤ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ، والكسائى .

(٩) التوبة : ٢١ : « يُبَشِّرهم » بضم الأول وفتح الباء وكسر الشين مشدداً ، و « يَبْشُرهم » بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففاً (التيسير ص ٨٧ - ٨٨) .

(١٠) آل عمران : ٣٧ ، ٣٨ ، الأنعام : ٨٥ ، مريم : ٢ ، ٧ ، الأنبياء : ٨٩ - قرأ حمزة والكسائى وخلف وحفص من غير همز فى جميع القرآن ، وقرأ الباقون بالمد والهمز (النشر ٢/٢٣٩) .

ومنه أن يكون بزيادة حرف من « فعل » و « أفعل » مثل « فاسر بأهلك » [1] و « نسقيكم » [2] .

واختار نحو هذه الطريقة فى تفسير الأحرف السبعة القاضى أبو بكر محمد بن الطيب فى كتاب « الانتصار » [3] .

* * *

• الرأى الخامس فى المراد بالأحرف السبعة :

ذهب بعضهم إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له ، وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال فى هذا العدد ، فهو إشارة الى أن القرآن فى لُغته وتركيبه كأنه حدود وأبواب لكلام العرب كله مع بلوغه الذروة فى الكمال ، فلفظ السبعة يُطلق على إرادة الكثرة والكمال فى الآحاد ، كما يطلق السبعون فى العشرات ، والسبعمائة فى المئين ، ولا يُراد العدد المعيَّن ، والعرب يُطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة ولا يريدون حقيقة العدد ، بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر ، قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ [4] ، وقال : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ [5] .

وإلى هذا جنح القاضى عِياض [6] ومَن تبعه .

---

(١) هود : ٨١ ، الحجر : ٦٥ - من فعل الثلاثى : « فاسر » بوصل الألف ، وهى قراءة نافع وأبي جعفر وابن عامر - و « فأسر » بقطع الهمزة من أفعل الرباعى ، وهى قراءة الباقين (النشر ٢/ ٢٩) .

(٢) النحل : ٦٦ ، المؤمنون : ٢١ - بفتح النون وهى قراءة نافع وابن عامر ويعقوب وأبى بكر عاصم ، وبضمها وهى قراءة الباقين سوى أبى جعفر لأنه قرأ بالتاء مفتوحة (النشر ٢/ ٣٤) .

(٣) انظر « المرشد الوجيز » ص ١١٧ - ١٢١ .

(٤) البقرة : ٢٦١ (٥) التوبة : ٨٠

(٦) عِياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبى السبتى ، أبو الفضل ، عالِم الغرب ، وإمام أهل الحديث فى وقته ، من تصانيفه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ، و « شرح صحيح مسلم » - ت ٥٤٤ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٣٩٢ ، والفكر السامى ٤ / ٥٨) .

قال أبو بكر بن العربى شيخ السهيلى [1] . فى كتاب « شرح الموطأ » : « لم تتعين هذه السبعة بنص من النبى ﷺ ، ولا بإجماع من الصحابة ، وقد اختلفت فيها الأقوال ، فقال ابن عباس : اللُّغات سبع ، والسموات سبع ، والأرضون سبع - وعدَّدَ السبعات - وكان معناه أنه نزل بلُغة العرب كلها » [2] .

ومال إلى هذا الرأى كذلك جمال الدين القاسمى [3] فى مقدمة تفسيره « محاسن التأويل » وعزاه إلى السيوطى فى « الإتقان » بما يوهم اعتماده إذ يقول : « ليس المراد بالسبع حقيقة العدد المعلوم ، بل كثرة الأوجه التى تُقرأ بها الكلمة على سبيل التيسير والتسهيل والسعة .. كذا فى الإتقان ، والأظهر ما ذكرنا من إرادة الكثرة من السبعة لا التحديد ، فيشمل ما ذكره ابن قتيبة وغيره ... » [4] .

وإليه ذهب مصطفى صادق الرافعى [5] فقال : « والذى عندنا فى معنى الحديث : أن المراد بالأحرف اللُّغات التى تختلف بها لهجات العرب ، حتى يوسع على كل قوم أن يقرءوه بلحنهم ، وما كان العرب يفهمون من معنى الحرف فى الكلام إلا اللُّغة ، وإنما جعلها سبعة رمزاً إلى ما ألفوه من معنى الكمال فى هذا العدد ، وخاصة فيما يتعلق بالإلهيات : كالسموات السبع ، والأرضين

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلى - نسبة الى سهيل من قرى مالقة - حافظ عالِم باللُّغة والسير ، من كتبه « الروض الأنف » و « الإعلام فيما أُبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام » - ت ٥٨١ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٣٥١ ، وغاية النهاية ١ / ٣٧١) .

(٢) المرشد الوجيز ص ٩٧ ، وانظر الاتقان ١ / ٤٥ ، والنشر ١ /٢٦

(٣) جمال الدين بن محمد سعيد ، إمام الشام فى عصره صاحب محاسن التأويل - ت ٣٣٢ هـ (الأعلام ٢ / ١٣١) .

(٤) محاسن التأويل ١ / ٢٨٧

(٥) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعى المصرى ، أديب شاعر من كبار الكُتّاب ، له « ديوان شعر » و « تاريخ آداب العرب » و « إعجاز القرآن » وغير ذلك - ت ١٣٥٦ هـ (الأعلام ٨ / ١٣٧) .

السبع ، والسبعة الأيام التى بُرِئَت فيها الخليقة ، وأبواب الجنة والجحيم ، ونحوها ، فهذه حدود تحتوى ما وراءها بالغاً ما بلغ ، وهذا الرمز من ألطف المعانى وأدقها ، إذ يجعل القرآن فى لُغته وتركيبه كأنه حدود وأبواب لكلام العرب كله » [1] .

وبعض علماء اللُّغة يرى أن عدد السبعة يدل على الكمال لأن السبعة جمعت العدد كله ، لأن العدد أزواج وأفراد ، والأزواج فيها أول وثان ، والاثنان أول الأزواج ، والأربعة زوج ثان ، والثلاثة أول الأفراد ، والخمسة فرد ثان ، فإذا اجتمع الزوج الأول مع الفرد الثانى ، أو الفرد الأول مع الزوج الثانى كان سبعة ، وكذلك إذا أخذ الواحد الذى هو أصل العدد مع الستة التى هى عند الحكماء عدد تام يكون منهما السبعة التى هى عدد كامل ، لأن الكمال درجة فوق التمام ، وهذه الخاصة لا توجد فى غير السبعة ، ولذلك يفصلون بينها وبين الثمانية بالواو ، فيقولون : واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية وتسعة وعشر ... إلخ ، ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ ، وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [2] ويسمون هذه الواو « واو الثمانية » ، ذكر هذا أبو حيان وغيره [3] .

وليس الأمر كذلك ، وإنما أفادت هذه الواو الإيذان بأن الذين قالوا إنهم

---

(١) إعجاز القرآن ص ٦٨ (٢) الكهف : ٢٢

(٣) أبو حيان النحوى : هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى الأندلسى ، من تصانيفه : « البحر المحيط » فى تفسير القرآن ، و « النهر » مختصر له - ت ٧٤٥ هـ (بغية الوعاة ص ١٢١ ، وغاية النهاية ٢ / ٢٨٥) .

أما أبو حيان التوحيدى فهو علىٌ بن محمد بن العباس التوحيدى ، فيلسوف متصوف معتزلى - توفى نحو سنة ٤٠٠ هـ (بغية الوعاة ص ٣٤٨) .

سبعة تثبتوا من قولهم ، ولم يكن قولهم رجماً بالغيب كقول مَن سبقهم ، إنما كان عن علم » [1] .

يقول العكبرى [2] فى دخول هذه الواو : « دخلت لتدل على أن ما بعدها مستأنف حق ، وليس من جنس المقول برجم الظنون » [3] .

ويقول الزمخشرى [4] : « فإن قلتَ : فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ؟ ولِمَ دخلت عليها دون الأوليين ؟ قلتُ : هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة ، كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة فى نحو قولك : جاءنى رجل ومعه آخر ، ومررتُ بزيد وفى يده سيف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [5] ، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، وهذه الواو هى التى آذنت بأن الذين قالوا :« سبعة وثامنهم كلبهم » ، قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم ، والدليل عليه أن اللّه سبحانه أتبع القولين الأولين قوله : ﴿ رَجْماً بِالْغَيْبِ ﴾ [6] وأتبع القول الثالث قوله : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [7] وقال ابن عباس رضى اللّه عنه :

---

(١) انظر البحر المحيط ٦ / ١١٤

(٢) عبد اللّه بن الحسين بن عبد اللّه العكبرى البغدادى ، أبو البقاء ، عالم بالأدب واللّغة والفرائض والحساب ، من كتبه : « التبيان فى إعراب القرآن » ويسمى « إملاء مامَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن » ، و « اللّباب فى علل البناء والإعراب » - ت ٦١٦ هـ (بغية الوعاة ص ٢٨١) .

(٣) التبيان فى إعراب القرآن ٢ / ٨٤٣

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى الزمخشرى ، جار اللّه ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللّغة والآداب ، من كتبه : « الكشاف » فى تفسير القرآن و « أساس البلاغة » و « المفصل » و « الفائق » فى غريب الحديث - ت ٥٣٨ هـ (وفيات الأعيان ٢ / ٨١) .

(٥) الحجر : ٤ (٦) الكهف : ٢٢ (٧) الكهف : ٢٢

حين وقعت الواو وانقطعت العدة ، لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها ، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات » [1] .

* * *

● الرأى السادس فى المراد بالأحرف السبعة :

قال جماعة : « إن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع ، وحُكِيَ هذا عن الخليل بن أحمد ، وأنه فسَّرَ الحرف بالقراءة .

يقول الزركشى [2] : « الثانى - وهو أضعفها - أن المراد سبع قراءات ، وحُكِيَ عن الخليل بن أحمد ، والحرف ههنا القراءة » [3] ونقل هذا ابن عطية فيما حكاه القاضى أبو بكر بن الطيب : « قال القاضى : وزعم قوم أن كل كلمة تختلف القراءة فيها فإنها على سبعة أوجه ، وإلا بطل معنى الحديث ، قالوا : وتُعرف بعض الوجوه بمجئ الخبر به ، ولا يُعرف بعضها إذا لم يأت به خبر » [4] .

* * *

الترجيح والمناقشة

● الرأى المختار :

والراجح من هذه الآراء جميعها هو الرأى الأول ، أى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لُغات العرب فى المعنى الواحد نحو : أَقْبِل ، وتَعَالَ ، وَهَلُمَّ ، وعَجِّلْ ، وأَسْرِعْ ، فهى ألفاظ مختلفة لمعنى واحد .

وهذا الرأى هو الذى ذهب إليه سفيان بن عيينة ، وابن جرير ، وابن وهب ، وغيرهم ، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء كما سبق .

---

(١) الكشاف ٢ / ٥٥٧

(٢) بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى عالم بفقه الشافعية والأصول ، تركى الأصل ، مصرى المولد - ت ٧٩٤ هـ (مقدمة البرهان ١ / ٥ ، والأعلام ٦ / ٢٨٦) .

(٣) البرهان ١ / ٢١٤ (٤) المحرر الوجيز ١ / ٢٤